المجاعة فى افريقيا

بقلم :ـ الاستاذ عبد الحميد
محاضر اللغة العربيه ، كلية فاروق

ملايون مسلم اصاب الجوع معظمهم. باستثناء سكّان مصر ودول شمال افريقيا.

قدارتفع عدد الوفيات بين الأطفال بسبب سوء التّغذية ونقص البروتين والفيتامينات وفى اكثر مخيمات اللاّجئين المنتشرة فى السّودان. لايوجد على قيد الحياة طفل دون السّنتين والأطفال الأكبر يعانون من الجوع. بطونهم منتفخة بسب قلة سواد البروتينيّة وأجسادهم تشبه بالهيا كل العظيمة نتيجة لنقص التّغذية. ففى مخيمات اللاّجئين يعيش النازحون حياة سيئة وانتشرت بينهم الأمراض بجميع أنواعها إذأنّ سوء التغذية يؤدّى الى فقدان مناعة الجسم الطبيعية مما يجعله عرضة لأبسط قدر من العدوى

وكثير من العائلات النّازحات بسبب المجاعة تبدأ رحلتها بعشرة أفراد وعند ما ينتهى بها المطاف يبقى منها فردان اوثلاثة الأب والأمّ اواحد الأبناء البالغين. والحقيقة أنّ المجاعة التى يعانى منها المسلمون الافارقة اكبر بكثير

تعانى القارة السوداء (إفريقيا) ازمة جفاف ومجاعة شديدة وبموجب احصاءات خبراء الامم المتحدة فإن اكثر من ١٠ مليون نسمة يعيشون فى دول افريقية منها السودان وموريتانيا وشتاد والصومال واريتريا معرضون الان للموت جوعا بسبب موجة الجفاف الحالية التى زحفت بشدة لتغطى المنطقة السا حلية من القارة المسمّاة " حزام الجوع » وتمتد من السغال ومالى فى الغرب الى ارتيريا والصومال فى الشرق واليوم يعانى واحد من بين كل ٥ افارقة الموت البطئ بسبب سوء التغذية بينما للقارة الافريقيا امكانيات اقتصادية ضخمة تعادل سبعة أضعاف الانتاج الغذائى العالمى.

وكان الجفاف قد بدأ يدبّ فى عدة أجزاء من القارة الافريقية منذعام ١٩٧٤ الاأنه بلغ الذروة مع بداية ١٩٨٤ الى الآن مما ترك آثاره على معظم دول أفريقيا تشير الاحصاءات الى أن نكبة الجفاف والمجاعة التى يتعرض لها الافارقة ومعظمهم مسلمين قد فاقت كل التوقعات ومن بين سكان القارة الّذين يبلغ عددهم ٥٠٠ مليون نسمة منهم ٠٠

من الكلمات وأخطر ما يمكن ان يتصوّره العالم الخارجيّ. فقد اشتدّت مشكلة الجفاف والتّصحو التي بدأت في الظّهور منذ سنوات. وجفت الزّروع والمراعي وهلكت الماشية وشحّت الأمطار فاضطرّت المجموعات الافريقية المسلمة الّتي يعتمد اكثرها على الرّعي والزّراعة المطرية الى ان تهجر مواطنها وتحزم امتعتها لتنزح الى اطراف المدن بحثا عن الرّزق.

هناك اسباب كثيرة التي أدّت الى المجاعة في قارة افريقيا. ومن أهمها الاسباب الطّبيعيّة. فقد زحفت الصّحراء بسرعة مذهلة تجاوزت الستة كيلومترات في العام واصبحت تبتلع سنويّا مساحة مقدارها ١٥ مليون فدان من الأراضي الصّالحة للرّعي والزّراعة مما يؤدّي الى تقليل مساحة الأراضي المزروعة وخصوصا المناطق الرّعوية ومناطق زراعة الأغذية وقلّة نسبة الامطار التي تعتمد عليها الزراعة في افريقيا قد ساعدت لتدهور الاوضاع. وقد أدّى هذا ايضا الى قلّة منسوب المياه الجوفية وجفاف الماء في الأنهار وكان من الممكن للدول الأفريقيّة ان تتخطى الأزمة الحاليّة التي بدأت منذ عام. لو توفّر لها وضع اقتصادي مناسب الا انّ اكثرها تواجه ديونا خارجية كبيرة تسبّبت ضغوط سدادها وسداد فوائدها المتراكمة في وقت عمليّة التّنمية بسبب تحصيص تلك الأموال لسداد الدّيون خوفا من زيادة معدل الفائدة. لقد بلغت ديون أفريقيا حتّى اوّل العام الماضي حوالي ١٥ بليون دولار تتصاعد باضطرار نتيجة تراكم نسبة الرّبا المستحقّة على الدّيون الّتي تزيد مثل زائير الّتي تدفع ١٢ في المئة من ميزانيّتها لشديد ارباح الدّيون الّتي تزيد عن بليون (خمسة بليون دولار)

كما أنّ الصّراعات السّياسيّة والاضطهاد والنّزاعات القبليّة في الدّول الافريقيّة قد خلق وضعا سيّأ من ناحية الامن الغذائي وأدت الى هجرة اعداد كبيرة من الأفارقة من بلدانها الاصليّة الى الاقطار المجاورة والمجاعة الاخيرة أيضا تزاوجت مع الحروب الاهليّة في كلّ من تشاد واثيوبيا. وأدّت الى نزوح اعداد هائلة من سكان تلك الاقطار حيث ناهز عدد اللاّجئين الاثيوبيّين على سبيل المثال المليون لاجئ. ولا يزال العدد يتزايد بسرعة اذ يبلغ معدل اللجوء اليومي ثلاثة آلاف شخص ويعيش اللاّجئون لارتريون في شرق السّودان في مخيمات الا تليق بالانسانية أبدا في كهوف الجبال وتحت الاشجار الجافة ويقاسون شدة البرد في الجبال ليلا ومرارة الرّمال نهارا.

—o—

صدى نداء المغرب

وبران محي الدين الفاروقي :-

نظر الصبيّ الى مغرب الشمس. فوجدها تغرب على وراء أكمة ليست ببعيدة جدّا. وكان لا يرى تلك الاكمة ولا ينظر اليها الا فى وقت الغروب. او كان لا يعبأ بها الاّ فى تلك الآونة الأخيرة فى اليوم. وكان يسمع حينذاك صوتا جذابا فى سجع عجيب لم يسمعه من قبل. وكان صوت أذان المغرب. ولكن كان لهذا الاذان رنانا وفيه لذّة للسامعين. وطفق الصّوت يجذب قلب الصّبيّ كلّما يسمع وحاول ان يسمعه مرارا. ولكنّه لا يوفّق اليه الا عند المغرب. وعند العشاء ينام او ينهمك فى بعض الألعاب والحوار مع شقائقه فلا يعترضه هذا الاذان. وعند الصبح لعله يغرق فى النّوم كما هى عادة جميع المسلمين حول بيت الصّبيّ. و لا يعرفون معنى الصّلاة خير من النوم. وإنّما يسمع أذان المغرب هذا المكبر بآلة مكبر الصوت الذى يرتفع من مئذنة جامع تلك الأكمة. لايزال الصبيّ ينظر الى تلك الجهة اوقاتا طويلة ولو بعد الغروب. فيرى بعض المصابيح الساطعة اللاّمعة من القوى الكهربائيّة.

وما كان من مقدرته ان يفهم الكهرباء وقراها. فلم يزل ينظر اليها بكلّ عجب كأنّها نجوم اندثرت من السّماء على تلك الأكمة. مصابيح لا تطفأها الرّياح والعواصف، ولا تضمحل تحت ستار الغيوم والسّحائب.

وذات يوم عبر الصبيّ تلك الأكمة حين ارتحل ماشيا مع أمّه وإخوته الى دار خاله الّتى كانت وراء تلك الأكمة. فرأى أنّ وراء هذه الأكمة أيضا أرض خلقه الله للنّاس. فلمّا رأى تلك الاكمة العجيبة أمام عينيه قريبة طفق يتمتّعها بكل لذّة كما يتمتع العاشق حين ينتهز برؤية عشيقته التى لم يرفق المعاشرة اليها، فقرّت بها عيناه وعلم أنّها ليست أكمة مقفرة كسائر الاكام ملفوفة بالشجيرات النّابتة عليها. وأنّها كانت ممتلأة بأبنية الطّويلة الّتى كان الصّبيّ لايقدر حتّى ان يخيّله. يمشى فى واديها شباب من مختلف البقع والجوانب طلاّبا ومعلمين بعضهم يمشون طائفة اوفرادى. و بعضهم يجلسون على الأعشاب المخضرة وفى أيديهم بعض الكتب الدّراسية المنتوحة

وبعضهم يلعبون فى الميادين بالكرات المختلفة فوجد فيها قوما، قوم أعزهم الله بالشكل والهيئة. يلبسوا سرابيل فاخرة وبدلات زاهرة. قوم طوّلوا أشعارهم وسرّحوها فى صورة جميلة، قوم أعزّهم الله بالعلوم والثقافة العلوم المختلفة والثقافات المتنوّعة ورأى بعينيه تلك المأذنة التى كان يسمع الأذان منها فى وقت الغروب. ولم يزل قلبه يفرح ويطرب من فرح مايرى حوله. كأنّه دخل الى عالم خيالىّ فى بعض القصص العربيّة السّائرة ولم يتنبه من الفكر والخيال الاّ بعد ان دعاه بعض زملائه فى الرحلة ولم يتفكرا انّه كان يرتحل عابرا هذه الأكمة لرأية جنازة خاله الّذى يرتحل منهم الى الأبد.

وكان لايرى ولا يفكّر عن هذه الأكمة ولا يسمع نداء هما الجذّابة إلاّ فى يومين فى كلّ أسبوع. اذيقدم إلى أسرته من مدرسته الدّينيّة البعيدة عن القرية بثلاثة أميال مساء كلّ يوم خميس حتى يرجع اليها صباح يوم السّبت لكلّ أسبوع. كان يعبر هذه المسافة ماشيا وهو وحيد ولم يزل على هذا امدة ثلاث سنوات حتى فرغ من دراسته. والتحق ببعض المساجد الى مدة يسير. وسمع الصبىّ أنّ هذه الأكمة مصدر نور جد يديز يل الظلام من الأمّة المسلمة فى الجهالة. وكان هذا النّداء يدعوه الى المقاربة مباشرا. فاشتاق ان يرى صاحب تلك القوّة الجديدة الّتى وراء تلك القوى المادّيّة. وطال ما كان يسمع عنه وكان النّاس يقولون عنه انّه رجل صوفىّ أجلّه الله ببعض المواهب الدّينيّة. اوارتحل صغيرا الى مقر العلوم والثقافة الاسلاميّة واقتبس من نورها الساطع مباشرا. وطاف فى المدن والقرى. والمساجد والصّوامع والهياكل وأخيرا أحلّ على هذه الأكمة بجنب مدينة فاروق فاشتاق قلب صاحبنا الى زيارة الشيخ الموقّر الّذى كثر حوله الكلام لارغم انّ العوام لا يتكلمون نه إلاّ نادرا.

خرج صاحبنا مع زميل آخر ليتشرف برؤية الشيخ وأعرض أمامه تشوّقه للالتحاق بمعهده. ولم يتكلّم الشيخ كثيرا غير ان وعده بيوم ينعقد فيه الاختبار لجميع الطلبة الّذين يرجون إلالتحاق به. ظفر الضّبى فى الامتحان وكان ابن سبع عشر سنة. وكانت هذه نقطة تحولية فى حياته وفتح منافذ جديده الى جوّ الخيال و الفكر. فرآه صاحبنا رجلا عجيبا وزعيما كبيرا وغنيّا محترما. يعظمه العلماء و يحتفّون حوله و يوقره الأغياء ولا يجلسون أمامه وكان لسانه رجوما للشياطين وتسنيما للأصفياء وكان قبسا لامعا يزيل الظلام. وكان متدربّا يجعل الوحوش انسان وكان كيميا و يا سحريّا يجعل الأرض ذهبا. بذر حبوب العلوم المتنوّعة

فوق صخرة مجذبة وبالعجب وطفقت تنمو
سجرا تها. وازد هرت، وهب نسيمها
في جميع الأرجاء. نظر الصبيّ الى وجه الشيخ
ورأى فيه شوقا وجمالا، وعلما ونورا،
وإيمانا واحتسابا. فالتحقه ينتفع من
علومه ويقتبس من آدابه. كان الشيخ لا يفرق
بين الدّين الدّنيا. ويرى العلوم المادّية والدّينية
كجنا حي طائر، لايقدر الطّائر ان يرتفع الى
الجوّ بدونهما. والقرآن يصف المسلمين بأنّهم
يدعون للخير في الدنيا وآلاخرة وحسنا تهما
معا. صوفي جديد يقول بأنّ الدنيا ليست
بجثة يأكلها الكلاب. حرّض الطالب وحرّض
الأمّة المسلمة على ان يكتبو الى الحياة السّعادة
الدّارين. وجعل مجال العلوم وجوّها واسعا
بسيطا. ونظر الطّالب الى الحياة واسعا وأفقيا. وكان
الشيخ يبحث عل جميع الخير واكتساب
الاحسان من كلّ مفازة ولايفكرها
لا يعرفه هو.

لايقدران يمشي أحد
بمقبرته الا وهو يسترحم عليه
ويدعو له بالخير كلما يمشي الى جامع
الأزهر الذى سماه الشيخ باسم منبع
علومه المبارك الميمون. وهو سلطان
هذا الأزهر وسلطان هذا الحرم وسلطان
هذه الأمّة المثقّفة في بقعة ملبار.